السنة الأولى ماستر
شعبة الأدب القديم
مقياس الأدب القديم والنقد الجديد
طبيعته: نظري
الأفواج: 3و4
الأستاذ الدكتور محمد بن زاوي
2019 ـ 2020

المحاضرة رقم 1
قراءة في كتاب " مصطفى ناصف"
(قراءة ثانية لشعرنا القديم)

يعتبر الدكتور مصطفى ناصف من أهم نقاد العرب الذين اشتغلوا على التراث العربي القديم والحديث من زوايا منهجية مختلفة تتراوح بين الدراسة البلاغية والأسلوبية والتفكيكية والتأويلية والأسطورية. ولقد كان الشعر العربي القديم هدفا لكثير من دراساته ولاسيما كتابه القيم" قراءة ثانية لشعرنا القديم"، وهو عبارة عن فصول نقدية متنوعة انكب فيها على الشعر الجاهلي بالفحص والتحليل والتقويم من خلال رؤية جديدة وهي الرؤية الأنتروبولوجية أو المنهج الأسطوري. إذاً، ماهي القضايا النقدية التي يطرحها هذا الكتاب؟ وماهي خصائصه المنهجية والفنية؟ وماهي الملاحظات التقويمية التي يمكن أن نخرج بها بعد قراءتنا لهذا المتن النقدي؟

1- بيوغرافية المؤلف:

ولد مصطفى ناصف بمحافظة الغربية في جمهورية مصر العربية سنة 1922م، وحصل على دكتوراه الدولة في البلاغة من جامعة عين شمس عام 1952 م. وقد اهتم بالنقد النظري والتطبيقي منذ أمد طويل. واهتم كثيرا بالتراث العربي القديم ومناهجه البلاغية والنقدية مقارنا إياها بمستجدات الفكر الغربي المعاصر. وكان هدفه من مقارباته النقدية التأصيل والتأسيس لنقد عربي

جديد وقراءة واعية للتراث الأدبي دون الانسياق وراء مفاهيم التجريب وما تراكم في الغرب من نظريات نصية وممارسات تطبيقية إجرائية .

وللدكتور مصطفى ناصف كتب عديدة منها: نظرية المعنى في النقد العربي، ودراسة الأدب العربي، والصورة الأدبية، ونظرية التأويل، والنقد العربي نحو نظرية ثانية،واللغة بين البلاغة والأسلوبية،وخصام مع النقاد، وطه حسين والتراث، وصوت الشاعر القديم، والوجه الغائب، واللغة والبلاغة والميلاد الجديد، واللغة والتفسير والتواصل.

2-طبيعة الكتاب:

يندرج كتاب" قراءة ثانية لشعرنا القديم" للدكتور مصطفى ناصف ضمن الدراسات النقدية الأدبية النصية التطبيقية التي تحاول قراءة الشعر الجاهلي من خلال التصور الأسطوري الأنتروبولوجي مستندا إلى اللاشعور الجمعي لدى كارل يونغ على غرار الدراسات الأدبية والنقدية الأخرى التي درست الشعر الجاهلي على ضوء المناهج الحديثة والمعاصرة(المنهج الاجتماعي، والأسطوري، والبنيوي، والتوثيقي، والفني ، والجمالي، و التاريخي،و النفسي، والفلسفي ، والتأويلي، والتفكيكي، والسيميائي،....) على غرار كتاب" في الشعر الجاهلي" لطه حسين "، و " قراءة جديدة لشعرنا القديم" لصلاح عبد الصبور، وكتاب"المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها" للدكتور عبد الله الطيب، و"المعلقة العربية الأولى أو عند جذور التاريخ" للدكتور محمد نجيب البهبيتي، و"العصر الجاهلي" للدكتور شوقي ضيف،و"الصورة الفنية في الشعر الجاهلي في ضوء النقد الحديث" للدكتور نصرت عبد الرحمن، و" مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية" للدكتور ناصر الدين الأسد،و" نحو منهج بنيوي لتحليل للشعر الجاهلي (الرؤية الشبقية)" و" الرؤى المقنعة نحو منهج بنيوي في دراسة الشعر الجاهلي " للدكتور كمال أبوديب، و"المنهج الأسطوري في تفسير الشعر الجاهلي" لعبد الفتاح محمد أحمد، و"عناصر الوحدة والربط في الشعر الجاهلي" للدكتور سعيد الأيوبي، و"المدخل إلى الأدب الجاهلي" للدكتور إحسان سركيس، و"الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي" ليوسف خليف، و"مقالات في الشعر الجاهلي" ليوسف اليوسف، و" الخطاب الإبداعي الجاهلي والصورة الفنية" لعبد الإله الصائغ، و" الرحلة في القصيدة الجاهلية" لوهب رومية، و" الشعر الجاهلي" لمحمد النويهي، و" مقدمة القصيدة العربية في الشعر الجاهلي" للدكتور حسين عطوان، و" في النقد الجمالي ، رؤية في

الشعر الجاهلي" للدكتور أحمد محمود خليل، و" الفضاء المتخيل في الشعر الجاهلي" لرشيد نظيف، و" الأصول الفنية للشعر" للدكتور سعد إسماعيل شلبي، و" خصوبة القصيدة الجاهلية ومعانيها المتجددة" لمحمد صادق حسن عبد الله، و" دراسات في الشعر الجاهلي" ليوسف خليف،و" الشعر الجاهلي" للدكتور محمد عبد المنعم خفاجي، و" الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه" للدكتور يحيى الجبوري،و" الشعر الجاهلي قضاياه الفنية والموضوعية" للدكتور إبراهيم عبد الرحمن محمد...

ويستند كتاب مصطفى ناصف" قراءة ثانية لشعرنا القديم" إلى المنهج الأنتروبولوجي الأسطوري الذي يبحث عن الثوابت العقلية اللاشعورية للمجتمعات وخاصة غير المتحضرة ورصد الثوابت المشتركة من المشاعر والشعائر والطقوس والعادات والعقائد التي تتكرر ثقافيا واجتماعيا عند المبدعين والفنانين والتي تعبر عن الرغبات اللاواعية لكل فرد داخل المجتمع الإنساني. ويضم الكتاب مائة وسبع و ثمانين صفحة من الحجم الكبير ومقدمة وثمانية فصول. ومن المرجح أن تكون هذه الفصول مقالات نشرت في مواقع صحفية ومنابر ثقافية متفرقة، ثم جمعت في شكل كتاب تولت دار الأندلس ببيروت اللبنانية طبعه ونشره.

3- القضايا النقدية في الكتاب:

ينطلق الدكتور مصطفى ناصف في مقدمة كتابه " قراءة ثانية لشعرنا القديم" من فرضية أساسية وهي أن الأدب العربي قبل الإسلام لم يقرأ قراءة حسنة كما أثبت ذلك عميد الأدب العربي الدكتور طه حسين مرارا وتكرارا ، وذلك لعدة موانع تحول دون قراءته قراءة واعية ممتازة . وتتمثل هذه الموانع في الحواجز العقلية والنفسية. وكتابنا هذا يهدف إلى إعادة النظر في الشعر العربي القديم الذي اتهم بأنه ناتج عن" عقل مادي قاس رتيب لايتجاوز المحسوس ولا يعلو على العلاقات الفردية، ولا يستطيع أن يحيط بالأشياء من حيث هي كل. همه محصور في أن يتعلق بجزء من الأجزاء ينكب عليه دون ملل. ثقافته محدودة، وتطلعه الفلسفي سطحي يسير " وينطلق مصطفى ناصف من فلسفة الشك على غرار طه حسين في كتابه " في الشعر الجاهلي" قصد الوصول إلى اليقين وذلك بالتشكيك في كل المسلمات والثوابت التي التصقت بالشعر العربي القديم قبل الإسلام. وهذا المنطلق المنهجي نجد مرتكزاته النظرية لدى الفيلسوف العربي المسلم الغزالي والفيلسوف الفرنسي ديكارت. كما أن القراءة تختلف من عصر إلى آخر ومن شخص إلى

آخر ومن مكان إلى آخر. لذلك فقراءة مصطفى ناصف ستكون قراءة جديدة همها الاستكشاف والاستنباط والاستقراء والانطلاق من مجموعة من الفرضيات قصد البرهنة عليها وعدم التسلم بالمعطيات الثابتة والأحكام الجاهزة عن الشعر الجاهلي.

أ - الفـــصـــل الأول: الإحســـــــاس بالتـــــراث:

يرى الدكتور مصطفى ناصف أن الأدب العربي القديم – يقصد به الأدب الجاهلي– يتميز بصفائه ونقائه لكونه بقي بعيدا عن المؤثرات الفارسية واليونانية والهندية. ووصلنا هذا الأدب ناضجا ومكتملا وثابتا بأصوله الفنية التي صارت فيما بعد قواعد للكتابة الشعرية والإبداعية بعدما أن نزل القران الكريم بلغة هذا الأدب الرائع في شعريته وكتابته النثرية. وقد عمل القرآن على تهذيب لغة الشعر الجاهلي وتنقيتها وصقل بيانها وتطعيمها بألفاظ دينية وروحية. وقد حارب النقاد القدماء الشعراء المحدثين الذين يريدون أن يتمردوا عن بنية القصيدة الجاهلية التي صارت معيارا للاحتذاء والتقليد بعمودها الأصيل الذي يثبت مجموعة من القواعد الدلالية والفنية التي لا ينبغي الخروج عنها كما أسهب في شرحها المرزوقي في مقدمة ديوان الحماسة لأبي تمام. ويشكل هذا العمود الشعري الأساس الحقيقي لكل شعرية عربية على غرار القران الكريم والسنة النبوية اللذين يمثلان مصدرين أساسيين للتشريع والعمل .

ولقد واكب النقد الكلاسيكي تطور الشعر العربي من خلال مدارسة الشعر القديم والحديث من خلال ربط الماضي بالحاضر ومقارنة القيم القديمة والجديدة والبحث عن مواطن التقليد والتجديد. واعتبر الشعر الجاهلي مصدرا ومنبعا للشعر العربي قاطبة، ودرعا واقيا صامدا في وجه التيارات الثقافية والحضارية القادمة إلى ساحة الفكر العربي وإبداعه ضمن حركية المثاقفة و جدلية الاحتكاك الثقافي و الحوار الحضاري بين الشعوب.

وقد ناقش مصطفى ناصف ما ذهبت إليه مدرسة الديوان إبان عصر النهضة مع عباس محمود العقاد وعبد الرحمن شكري وعبد القادر المازني التي كانت تنطلق في فلسفتها من التوجه الرومانتيكي الغربي معتمدة على الحرية وتقديس الذات الفردية والتغني بالبطولة الفردية و الحرية القومية. وكانت لا تعد بشعر لا يعكس ذات صاحبه ووجدانيته الداخلية ومشاعره الباطنية . أي إن الشعر عند مدرسة الديوان هو شعر الشخصية والوجدان والشعور الداخلي والإحساس بالجمال النابع من الروح. وبما أن شعر شوقي كان شعرا غيريا ولا يعكس روحه الشخصية وحياته الفردية، فقد هاجمه العقاد هجوما عنيفا ونفى عنه إمارته الشعرية من خلال نقد ه لقصيدة

"الربيع" التي اعتبرها العقاد قصيدة سطحية لاروح فيها ولا معنى. وهذا الصراع في الحقيقة ما هو إلا صراع مذهبي وفني ، صراع بين مدرستين أدبيتين : المدرسة الكلاسيكية التي كانت تهتم كثيرا بالغير والآخر، والمدرسة الرومانسية التي كانت تؤمن بالفرد والقلب والعاطفة والطبيعة والحرية الإنسانية.

وعليه، فإن مدرسة الديوان تقصي الماضي الشعري و الإبداع التراثي، لأن الأدب القديم صار عاجزا وقاصرا عن العطاء والتجديد بالمقارنة مع الحاضر الذي يتطلع إلى الإبداع والحداثة الشعرية اعتمادا على مقاييس الشخصية والذات والروح الفردية. وعندما عاد زعماء الديوان إلى التراث الشعري القديم لنقده وغربلته، فإن همهم الوحيد هو البحث عن القمم الفردية التي تغنت بشعر الشخصية والحرية الذاتية و خاصية التحول كما فعل أبو نواس الذي ثار على بنية القصيدة الجاهلية التقليدية وابن الرومي الذي عبر كثيرا عن ذاته الشخصية المتأزمة. وأبعد هؤلاء النقاد كل شعر يلتزم بالقبيلة والتغني بالروح الجماعية واعتبروه شعرا رديئا غير مطبوع فيه صنعة وتكلف. ويعني هذا أن كل شعر غير ذاتي يقصى ويعد مصنوعا لاقيمة له ولا جدوى منه مادام لايعكس شخصية الشاعر وفرديته الوجودية وكينونته الداخلية. وهذا المقياس يخالف ما كان يعتمد عليه النقاد القدامى الذين كانوا يحتكمون إلى المقاييس الفنية والجمالية وليس إلى مقاييس الذات والجماعة، لذالك عد أبو نواس شاعرا عاديا ضمن المنظور الفني على الرغم من محاولته للخروج عن عمود الشعر العربي الذي بقي وفيا وأسيرا لمعاييره وأصوله الفنية الثابتة. ويعني هذا أن النقاد القدامى اهتموا بالشعر بدلا من الشاعر كما تؤمن بذلك مدرسة الديوان التي تسعى جاهدة للبحث عن ما هو شخصي وفردي في التراث الشعري القديم. بيد أن هذه المدرسة لم تجد ماكانت تبحث عنه من تجارب شعرية فردية بالمفهوم الرومانسي الغربي؛ لذلك تجاوزت الماضي نحو الحاضر وأدارت الظهر له. ويقول مصطفى ناصف في هذا الصدد:" إن الأستاذ العقاد لم يستطع– وسط همومه الثقافية المتزايدة– أن يشعر بأن الأدب العربي فيه كثير من أهوائه التي تتركز في عبادة الإنسان وعبادة حياته، فعبادة الإنسان عبارة موجزة تنفع في الإيماء إلى تفصيلات كثيرة إذا حللت. والأستاذ العقاد مشغول بهذه النزعة، وكل أقواله في دنيا الأدب والنقد إنما أراد بها أن يحيي فكرة الإنسان الباحث عن التجربة، المتلذذ بالوعي، الشاعر بالانتصار، الذي ينسخ كل ماعداه، الذي يأخذ من كل شيء آخر ما سلبه بلاحق. الإنسان الذي يسترد مملكته من أيدي الغيب. ومن ثم كان على التراث – في نظره– أن يستجيب لما أراد. وقد لقف قليل من الباحثين هذا التيار وبحثوا عن أصدائه في مجالات أخرى غير الشعر العربي، ووقر في أنفس الناس رأي العقاد حين يجعل القيمة صنوا لهذا النوع من التفكير، مما عداه في عالم

الشعر العربي، وكل شعر آخر، كثير. فيلقى هذا الشعر في النار وقد كتبت عليه عبارة الشعر المصنوع."

ملاحظة: يكتفي الأستاذ بتلخيص مضمون الفصل الأول من الكتاب ، ويكلف الطلبة بتحميل الكتاب ، وقراءة مضمون الفصول المتبقية، وتلخيصها ، ثم عرضها بصورة سريعة في بداية المحاضرة التالية.

المحاضرة رقم 2
قراءة في كتاب وهب رومية
شعرنا القديم والنقد الجديد

يحاول هذا الكتاب ربط الإبداع بتاريخ الحضارة، فيرى الإبداع واحدا من أبنية الثقافة الثلاثة: البناء الفكري، والبناء العلمي، والبناء الفني، ويعي خصوصية هذا البناء في طبيعته الفنية، في كيفية تعبيره عن المرحلة الحضارية التي يواكبها أو يتنبأ بها أو يقترحها، ويرى الخطاب النقدي خطابا تصوريّا تسري فيه روح الشعر، وتربطه بالفن صلة رحم واشجة، أو ضربا من الإبداع وإن توسل بأدوات العلم ومناهجه، ولا مناص له من أن يكون كذلك إذا أراد أن يكون خطابا نقديا أصيلا. وفي ضوء العلاقة بين هذه المحاور الثلاثة الحضارة والإبداع والنقد مضى مؤلف هذا الكتاب يستأنف النظر في شعرنا القديم، وفي بعض ما قيل حوله من نقد معاصر، فقدم قراءة تحليلية ناقدة للمنهج الأسطوري في دراسة الشعر الجاهلي، وضم إليها محاولة جديدة في دراسة هذا الشعر وتفسيره رغبة منه في الكشف عن رؤية الذات شاعرة لنفسها في مرآتها الخاصة وفي مرايا الآخرين معا، وعن رؤية هذه الذات للكون ومشكلاته الكبرى ونواميسه الخالدة، تسعفه في ذلك معرفة واسعة للشعر العربي قديمه وحديثه، وشاعرية عالية قادرة على الدهشة الحية والتعاطف العميق والكشف الباهر.

ويشكِّلُ كتابُ "شعرُنا القديم والنقدُ الجديد، للدكتور "وهب أحمد رومية"، محاولة جادة في التأصيل لمنهج عربي في قراءة الشعر العربي القديم، تنطلق من الوعي الشمولي للحياة التي شكلت هذا الأدب ولوظيفة الشعر، مع الأخذ بالأدوات النقدية الحديثة، دون أن تكون هذه الأدوات مقصودة لذاتها، وعرض الكاتب لبعض ملامح النقد العربي المعاصر. وموقفه من النقد الأسطوري للشعر العربي القديم وخاصةً الجاهلي منه .

وسنحاول فيما يلي الوقوف عند أهم القضايا النقدية التي تناولها وهب رومية في كتابه:

أولا– المقدمة:

طالما وقفَ العديدُ من النقادِ العرب، موقفَ المرتابِ من النظرياتِ الأدبيةِ الحديثة، المستجلبةِ

من الغربِ . هذه النظرياتُ التي نشأتْ في الغربِ من وعيٍ لثقافاتِ تلكَ الشعوبِ وآدابِها. بينما استجلبنَاها نحن العربَ –في الغالبِ والأعم– بغير نظرٍ إلى الثقافةِ ذاتِ التأثيرِ الأكبر في توجيهِ الفكرِ، والفنِ، والأدبِ، في الحياةِ العربيةِ، وهي الثقافةُ العربيةُ الإسلامية. فاستدعينَا هذه النظرياتِ، ابداءً من الواقعيةِ... ومرورًا بالماركسيةِ، والفرويديةِ، والأسطوريةِ... إلى عصرِ ما بعدِ البنيويةِ، والأسلوبيةِ، وأخيرًا –وليس آخرًا– نظريةُ النقدِ الثقافِي، التي لم تكتملْ بعدُ ملامحها في الفكرِ النقديِّ العربيِّ المعاصر .

ثانيا– التعريف بالناقد والكتاب:

1– التعريف بالكاتب:

الدكتور وهب أحمد رومية، ناقدٌ سوريٌ، حازَ على درجةِ الدكتوراه في الأدبِ القديم، من كليةِ الآدابِ بجامعةِ القاهرة، بمرتبة الشرف، مع التوصية بطباعة وتبادل الرسالة مع الجامعات. وعيِّنَ رئيسًا لقسمِ اللغةِ العربية في جامعةِ صنعاء سابقًا، ومدرسًا للأدبِ القديمِ في جامعةِ دمشق. ومن مؤلفاته (الرحلةُ في القصيدةِ الجاهلية، و قصيدةُ المدحِ حتى نهايةِ العصرِ الأمويِّ بينَ الأصولِ والإحياءِ والتجديد).

2– **التعريف بالكتاب:** صدرَ الكتابُ عن سلسلةِ عالمِ المعرفةِ، برقمِ 207 في شهرِ آذار لعام 1996. ويتألفٌ الكتابُ من ثلاثةِ أقسامٍ (تمهيدٌ وبابان).
أما التمهيدُ: فقد عرضَ فيه إلى فرضين جعلَهُما الركيزةَ الأساسيةَ في بحثِه وهما :

– **الفرضُ الأول:** و "يقومُ .. على اعتقادٍ بأنَّ نقدَنَا المعاصرَ نقدٌ مأزومٌ على الرغمِ من الضجيجِ الذي يُرافِقُهُ خُطوةً خُطوة".

– **الفرضُ الثاني:** و "يقومُ على اعتقادٍ بأنَّ شعرَنا القديمَ شعرٌ غامضٌ وبواحٌ في آن، خِلافًا لِما شاعَ في أوساطِ أكثرِ الدارسين." .

ويُقسمُ **البابُ الأول**/الحداثةُ المموهة: إلى فصلين، وهما: (العلاقةُ بين الشعرِ والنقدِ، وهو فصل تنظيري عرض فيه الكاتب منهجه ونظرته للنقد المعاصر وسبل دراسة الشعر العربي القديم . ثم أتبعه بالفصل الثاني تحت عنوان: نقدٌ وتحليل: نقدُ المدرسةِ الأسطوريةِ لشعرِنا القديم، حاور

فيه أهم السالكين لهذا المنهج في دراسة الشعر العربي القديم، والذين غلب عليهم إلواء النص الجاهلي ليتوافق مع تصوراتهم التي تفرضها عليهم طبيعة المنهج الأسطوري). أما **البابُ الثاني**/محاولةٌ جديدةٌ في تفسيرِ شعرِنا القديم: فقد وضعَه لاختبارِ الفرضِ العلمي الثاني –غموضُ شعرِنا القديم وبوحيتَه– اختبارا تطبيقيا عمليا لآرائه التنظيرية. فعالَجَ في الفصلِ الأولِ منهُ، رؤيةَ الذاتِ في القصيدةِ العربيةِ القديمة. وعالجَ في الفصلِ الثاني، رؤيةَ الكونَ في القصيدةِ العربيةِ القديمة.

ثالثا– بابُ المصطلحات:

إذا كان مصطلح أي علم هو المادة المعرفية الأولى التي ينبغي علينا أن نتعرف عليها، فهذا يعني أنه يتوجب تقديم هذه المصطلحات على أبوابها، حتى تكون المدخل المعرفي الأول الذي يحدد للقارئ توجه ومعرفته، ولهذا قمت باختيار مصطلحات جعلتها مدخل للمواضيع المطروحة في هذا البحث. وهي:

1– النقد الأدبي : "فن تحليل الآثار الأدبية". أو "هو وعي نظري للظاهرة الأدبية ينهض على التحليل والتفسير والتقييم" . أو هو" تدعمه أسس نظرية أو تطبيقية عامة، ويتناول بالدرس مدارس أدبية، أو شعراء، أو خصومات يفصل القول فيها، ويبسط عناصرها، ويبصر بمواضع الجمال والقبح فيها". ويختلف تعريف هذا النقد باختلاف المناهج والمداس التي تتناول العمل الأدبي

2. **الشعر**: وهو "فن يعتمد الصورة ، والصوت، والجرس، والإيقاع، ليوحي بإحساسات، وخواطر وأشياء، لا يمكن تركيزها في أفكار واضحة للتعبير عنها في النثر المألوف" . فالشعر إذًا تصورات ذهنية يصدرها المبدع بهيئة لغوية ولفظية تعمد إلى الوصول إلى المتلقي والتأثير فيه بطريقة خارجة عن المألوف من أنواعه القول.

3. **القراءة** : تعرَّف القراءة بأنها "ترجمة الرموز المكتوبة إلى كلمات منطوقة. والربط بين الرمز المكتوب ومدلوله، أي: معناه الذهني. وهي بهذا المفهوم عملية مركبة تشترك فيها (العين) وهي وسيلة التفرقة بين رمز مكتوب و آخر . و(اللسان) وهي أداة النطق– و(العقل) وهو أداة إدراك المعاني" .

المحاضرة رقم 3
قراءة في كتاب وهب رومية
شعرنا القديم والنقد الجديد

4- **النقد الأسطوري:** "هو النقد الذي يبحث في النص عن الوحدات الأسطورية فيعُودُ إلى الهيكليَّة الأسطوريَّة الأوليَّة، ويبيِّن ما أصابها من إضافات أو تزيينات". فهو نقد الظاهرة الأدبية على أساس الربط الذهني بين الإنسان الحاضر، وأصوله الأولى، على اعتقاد بأن أعمالَنا الأدبية صادرةٌ عن لاوعي جماعي يوحد البشرية جمعاء.

5. **الثقافة:** على المستوى الفردي "إنماء ملكة من الملكات بالقيام بتدريب معين خاص بها". أو هي كما يعرفها محمّد عبد الكريم الجزائري هي: " نضج في العقل، ووعي في القلب، وإرهاف في الشعور، واستقامة في السّلوك، وحذق في الأشياء علماً وعملاً".وعلى المستوى الاجتماعي "حصيلة عمل اجتماعي ضخم طويل خلال عصور كثيرة وطويلة". ولابد لأي إنسان أن يتأثر بالثقافة التي ينتج عنها، مهما حاول الانفصال والانعزال عنها. إنها محرك داخلي في الذات الفردية والأممية، عمادها التأثر والتأثير والتراكم المعرفي عبر مراحل طويلة من الزمن.

وإذا كنا لم نقم بدراسة دور الثقافة في الأعمال الأدبية والنقدية، كان سبب الاختيار لهذا المصطلح تركيز الكاتب على الثقافة بوصفها عاملٌ أساسيٌّ في إنتاج الأدب وعنها ينبغي أن يصدر نقد الأدب.

ثالثا – باب القضايا: وتناول فيه :

1- ملامح النقد العربي الجديد:

في جوِّ الأزمةِ العارمةِ التي يعانِي منها النقدُ العربيُّ المعاصرُ، من عدمِ وعيٍ للثقافة، وتشتتٍ ما بين الناقدِ والجمهورِ، وبين النصِ النقديِّ والمنقودِ، ظهرَ لهذا النقدِ عدةُ ملامحٍ تميَّزَ واتَّسمَ بها. ومنها:

أ- **غلبة "الاضطرابِ والارتجال"**: ومرَدُّ هذا الملمحِ، إلى التعجُّلِ في وضعِ المعاييرِ النقديةِ، وعدمِ تريُّثِ النقادِ في نقدِهم، مما أدَّى إلى اضِّرابِ المناهجِ النقديةِ في أيدِي هؤلاءِ النقاد، وإلى وتداخلِها وتحوُّلِ ثقافتِهم النقدية "إلى أشتاتٍ منهجيةٍ تكادُ تستعصي على محاولةِ ردِّها إلى منهجٍ بعينِهِ أو مناهجَ متقاربةٍ، وتكادُ الصلةُ تتقطعُ بينَ مواقفِ أصحابِ هذه المناهجِ في النقد ومواقفِهم في الحياة".

ب- **الغموضُ والبلبلةُ والاضطراب:** وهذا الملمحُ كما يراهُ الدكتور وهب ناتجٌ عن الملمحِ السابقِ وبرهانٌ عليه . حتى أنَّ غموضَه فاقَ غموضَ الآثارِ الإبداعيةِ نفسِه . يقول: إن "جلَّ ما نقرؤه اليومَ من نقدٍ...هو نقدٌ غامضٌ مبلبلٌ ملتوٍ حتى يوشكُ أنْ يكونَ مستغلقًا، وتوشكُ أنُ تكون قطيعةً بينَهُ وبينَ جمهورِ المتلقين". وهذا الغموضُ النقديُّ أدَّى بسببِ منظِّري النقدِ الحداثيين، من شعراء ونقاد، إلى ظهورِ نصوصٍ شعريةٍ تكادُ تكونُ أقربَ إلى الكتابةِ الهيروغليفية، أو نصوصِ التعمية.

ت- **برودة اللغة النقدية ورومنسيتها:** يقول الدكتور وهب: "ويعرف قارئُ النقدِ العربيِّ الراهنِ ما يعتري لغةَ هذا النقدِ -ما خلا جانبًا يسيرًا منه تسري فيه روحٌ رومانسيةٌ عارمةٌ وإن أنكر ذلك- من برودةٍ وغثاثةٍ وفتورٍ يكادُ ينقلبُ إلى كزازةٍ"

وهو معَ هذا يحذِّر من وقوعِ لغةِ النقد في إنشائيةِ القدماءِ، علميةِ العصر، فَيرى أنَّه "مهما حاولنا أن نقترب بلغة النقد من روح العلم فلن نُفلحَ في أنْ نجعلَ منها لغةً علميةً صِرفًا إلا إذا كان ذلك على حسابِ الخطابِ النقديِّ نفسِه"

ث- **اضطراب المصطلح النقدي:** ومكمنُ الاضطرابِ في استمرارِنا في استخدامِ مصطلحاتٍ نقديَّةٍ غيرِ مستقرةٍ، وغيرِ ومتفقٍ عليها في الأوساطِ النقديةِ العربية، وحتى أنَّ مفاهيمَ هذه المصلحات مازالت غيرُ محددة بشكلٍ صحيح وواضح. إضافةً إلى ذلك فقد تحوَّلَ المصطلحُ بيدِ أغلبِ النقادِ إلى أداةٍ تعملُ على إثباتِ قدرةِ هذا الناقدِ أو ذاك، فراحوا يحشدون كتاباتِهم النقدية بمصطلحاتٍ يكادون لا يفقهونَ عنها شيئا أو ربما يدَّعونَ فهمها ، فكيف بجمهور المتلقين الذين من واجب النقد عليهم أن يرفعهم إلى مستوى عالٍ ؟

ج- **الثرثرة:** فمازالَ نقدُنا المعاصر يعاني من آفةِ الإطنابِ والخروجِ عن الموضوعِ، والتي كان

يعجُّ بها نقدُنا العربيُ القديم. فكأنَّ نقدَنا المعاصرَ رغم ارتدائه لباس العلم وتخليه عن فتنة اللغة لم يستطع أن يتخلى عن هذه الظاهرة أو "جرثومة الإطناب" على حد تعبير الدكتور وهب.

ح- **التصاغر** : يكمنُ هذا الملمحُ في نظرِنا إلى النقدِ الغربيِّ على أنَّه المثلُ الأعلى الذي ينبغي علينا أنْ نحتذِيهِ باستمرار، فوقفنا عاجزينَ عن تأسيس منهج نقدي عربي وبقيت ممارستنا النقدية متخلفةً عن مواكبةِ الإبداعِ العربيِّ والتطوراتِ التي طرأتْ وتطرأُ عليه .

وهذه الملامح السالفة الذكر لا يقصد بها الشمول بقدر ما يقصد بها التنبيه إلى أهمها إذ يمكن إضافة ملمح <u>الفوقية</u> : وهي النظر إلى العمل الإبداعي على أنه خاضع لسلطة الناقد وعلى الناقد أن يأمر وينها .
وكذلك يمكن إضافة ملمح <u>استعراض القدرات</u> : حيث يقف الناقد أمام العمل الأدبي فيعرض ما لديه من معرفة نقدية ومعرفة بالمدارس والاتجاهات النقدية دون أن يتعرض للنص المنقود إلا بالشيء النذر اليسير.

المحاضرة رقم 4
قراءة في كتاب وهب رومية
شعرنا القديم والنقد الجديد

2- شروط قراءة الشعر القديم:

وهنا لابد لنا من إعادة ذكر الفرض العلمي الثاني الذي اعتمده الدكتور وهب في تمهيده وهو" أنَّ شعرَنا القديمَ شعرٌ غامضٌ وبواحٌ في آن، خِلافًا لِما شاعَ في أوساطِ أكثرِ الدارسين". وهذا الشعر الغامض البواح "صالح –ككل شعر عظيم– لقراءاتٍ متعددة تفك رموزه ليبوح بثرائه الباهر".

ويرى الدكتور وهب أن النقد ينبغي أن يصدر "عن رؤية شمولية للحياة ومفاهيم محددة عن الإنسان وموقفه من الحياة و الواقع، وعن الشعر وعلاقته بهذه الحياة وهذا الواقع، ووظيفته التي ينبغي أن ينهض بها". وتحقيق هذا الشرط في قراءة الشعر القديم يسمح لنا بإعادة اكتشاف هذا الشعر وفق تصور كامل وشامل للحياة التي أنتجت هذا الإبداع الشعري ... ولا يمنع بعد هذا من الاستعانة بالأدوات النقدية الحديثة التي لم تكن متوفرة عن النقاد القدماء.. وانطلاقا من هذه الركيزة يضع لقراءة الشعر القديمة مجموعة من الشروط ينبغي أن تتوفر فيها.

فإذا كانت القراءة نوعان استيعابية وحوارية فينبغي ألا نكتفي بالقراءة الاستيعابية لهذا الشعر إنما علينا أن ننتقل إلى القراءة الحوارية هذه القراءة التي "تجعل من الذات القارئة ذاتًا منفعلةً لا فاعلةً ، فهي تقبل كل ما تقرأ وتستوعبه."

أما شروط القراءة الصحيحة التي ارتآها الدكتور وهب، فهي:

1– فهم معاني كلمات النص فهما تاريخيا أولا .. وبسبب افتقار المكتبة العربية للمعجم التاريخي فيأتي الشرط الثاني "مكملا لهذا الشرط وسياجا له يحول دون الوقوع في الخطأ". وهو:
2– التحليل التاريخي: أي ربط النص بسياقه التاريخي . لأن "معرفة هذا السياق بأبعاده السياسية والثقافية والاجتماعية ... ضرورية لفهم النص".
وهذان الشرطان يمثلان المرحلة الأولى من مراحل القراءة وهي القراءة التفسيرية.

3- أما الشرط الثالث لقراءة الشعر القديم فيقوم على ألا نصل إلى مرحلة القراءة التأويلية ما لم نمر بمرحلة القراءة التفسيرية التي يمثلها الشرطان الأولان.
فالتأويل "شرط لبقاء الخطاب المقروء وشرط لبقاء الخطاب الحالي". وهذه القراءة تؤكد "أن الذات القارئة... لا تقل أهمية عن الموضوع المقروء".

4- أما الشرط الربع للقراءة الصحيح للشعر العربي القديم ، فيكمن في "التراجع عن أي رأي أو تأويل إذا ثبت بطلانه أو عدم صحته" .

3- النقد الأسطوري من حيث النشأة والأفكار:

نشأ هذا النقد في الغرب على يد الناقد الكندي: (نورثروب فراي) حين أصدر كتابه "تشريح النقد" . وأفكار (نورث) في هذا الكتاب متأثرة الفلسفة اليونغية، التي اكتشفت منطقة تقبع تحت الأنا الشخصي وهي منطقة اللاوعي الجمعي، وعن هذا اللاوعي "تصدر الصور النمطية المألوفة في الفن والأدب" .

وبتأثير من الفلسفة اليونيغية آمنت النظرية الأسطورية بمسألة الأنماط العليا التي تشكل محور الدرس الأسطوري . وهذه الأنماط هي النماذج البدائية التي ما نزال نكررها في أعمالنا بطريقة أو بأخرى، فجمهورية أفلاطون وشيوعية ماركس هي تكرار للنمط البدائي الأول وهو جنة عدن. ورحلة السندباد وإلقاء يوسف عليه السلام بالبئر والتقاط الحوت ليونس عليه السلام، هي صورة استعارية لمشهد الموت والانبعاث فاليوم الآخر. وهكذا أخذت هذه النظرية في تفسيرها للأدب.
فعندما أشرف (آرثر هاتو) على موضوع (لقاء العشاق وافتراقهم عند الفجر في الشعر) بعد أن جمعوا لهذا الموضوع أشعارا من ختلف الأعراق والأصقاع، ومن أقدم شاعر بدائي إلى عصر (شكسبير) وصلوا إلى نتيجة مفادها وجود تشابه كبير بينها يكاد يبلغ حد التشابه بين قصيدتين في موضوع واحد لشاعر واحد .
"وعندما اكتشفت ألواح أوغاريت في الشاطئ السوري عثر على قصائد يتساوى فيها أقدم شاعر أوغاريتي مع أحدث شاعر سوري" .
ونتيجة لاعتماد النقد الأسطوري على هذا المنهج منهج الأنماط العليا، ضاع الاعتراف بالأدب، فلا يوجد أدب وإنما يوجد أدباء يكرّرون موروثهم الثقافي الذي تمليه عليهم، منطقة اللاوعي الجمعي.

إلا أن هذا الإنكار للأدب لا يعين أنه إنكار تام له، وإنما تركوا له فسحة يصدق عليها تسمية الأدب، وهي فسحة (الانزياح والتعديل والتحوير) .. فكلما خرج الأديب في نصه عن الأنماط البدائية وانزاح عنها يكون قد أبدع أدبا جديدا .

وأما دور الناقد الأسطوري فيتأتى في تأمل النص الأدبي والوقوف بعيدا عنه ليكشف عن منظومتها الأسطورية، ويكشف كذلك الأمر عن الانزياحات التي أصابت ما يسمى في النقد الأسطوري بـ (الميثة) أي الأسطورة في حالتها البدائية قبل أن يطرأ عليها أي انزياح.

الخاتمة:

هذه هي أهم القضايا التي عالجها الدكتور وهب في كتابه، فقد أثبت الناقد للمتلقي نظرة ثاقبة في النقد العربي فكشف عن ملامحه المأساوية، وهو كشف يكاد يكون مطابقا كل التطابق لهذا الواقع النقدي، ونظّر تنظيرا لقراءة الشعر القديم أظن أن فيه المنهج الحق والدقيق لقراءة هذا الإبداع . وأما المذهب الأسطوري في قراءة الشعر، فبحسب ما خبرت عنه لا يتعدى دراسة التناص الثقافي الذي لابد منه في أي عمل أدبي إذ لا وجود لأدب قادم من الفضاء وخارج عن الواقع، والموروث الثقافي . والتنظير لمثل هذا المنهج هو قتل للإبداع وإن تركوا له مساحة ضئيلة . رغم ما قيل عن هذا المنهج بأنه إعادة لإنسانية الإنسان ، فإنسانية الإنسان لا تتأتى من العودة إلى الأصول البدائية وإنما في صياغة هذه الأصول مع الواقع لتشكيل المستقبل المشرق.